



الفصل الثاني

قراء القرآن القدامى



أبي بن كعب

سيد القراء أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البصري
ويكنى أيضاً أبا الطفيل شهد العقبة وبدرًا وجمع القرآن في حياة
النبي وعرض على النبي عليه السلام وحفظ عنه علماً مباركاً وكان
رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه وقال أنس قال النبي ﷺ لأبي بن
كعب (إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن) وفي لفظ (أمرني أن
أقرأك القرآن) قال الله سماني لك قال نعم (قال وذكرت عند رب
العالمين قال : نعم فذرفت عيناه.

ولما سأل النبي ﷺ أبيعاً عن أي آية في القرآن أعظم فقال أبي : الله
لا إله إلا هو الحي القيوم [البقرة ٢٥٥] ضرب النبي ﷺ في صدره
وقال ليهنك العلم أبا المنذر.

قال أنس بن مالك جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم
من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت و أبو زيد أحد
عمومتي وقال ابن عباس قال أبي لعمر بن الخطاب إني تلقيت القرآن
ممن تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب وقال ابن عباس قال

عمر أقضانا علي وأقرأنا أبي وإنا لندع من قراءة أبي وهو يقول لا
أدع شيئا سمعته من رسول الله ﷺ.

أبو موسى الأشعري

اسمه عبد الله بن قيس بن سليم أسلم بمكة وهاجر إلى أرض
الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الإسلام محمد بن عبد الله
بخبير. وأرسله محمد مع معاذ بن جبل إلى اليمن ، روي عن أبي
بردة عن أبيه عن جده أن محمد بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن قال
يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطوعا ولا تختلفا رقيق القلب
والمشاعر كما وصفه نبي الإسلام محمد ص ووصف قومه بأنهم
أهل رقة في القلوب وعذوبة في الصوت حتى إن رسول الإسلام كان
يتأثر بقراءته للقرآن ويقول له لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود
إنه الصحابي أبو موسى الأشعري .

قال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ إني لأعرف أصوات
رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من
أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار

وقد صح من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود، فقلت يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتة لك تحبيراً.

حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا مالك عن ابن بريدة عن أبيه قال خرج بريدة عشاء فلقى النبي ﷺ فأخذ بيده فأدخله المسجد فإذا صوت رجل يقرأ فقال النبي ﷺ تراه مرانيا فأسكت بريدة فإذا رجل يدعو فقال اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب قال فلما كان من القابلة خرج بريدة عشاء فلقى النبي ﷺ فأخذ بيده فأدخله المسجد فإذا صوت الرجل يقرأ فقال النبي ﷺ أتقول هو مرء؟! فقال بريدة أتقوله مرء يا رسول الله فقال النبي ﷺ لا بل مؤمن منيب لا بل مؤمن منيب فإذا الأشعري يقرأ بصوت له في جانب المسجد فقال رسول الله ﷺ إن الأشعري أو إن عبد الله بن قيس أعطي زمماراً من مزامير داود فقلت ألا أخبره يا رسول الله قال بلى فأخبره فأخبرته فقال أنت لي صديق أخبرتني عن رسول الله ﷺ بحديث.

وفي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري صلاة الصبح فما سمعت صوت صنج ولا بربط (من آلات العزف) كان أحسن صوتًا منه.

إمام القراء الشاطبي

اسمه القاسم بن فيره بكسر الفاء، بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة، ثم راء مشددة مضمومة، بعدها هاء ؛ ومعناه بلغة عجم الأندلس : الحديد ابن خلف بن أحمد أبو القاسم، وأبو محمد الشاطبي الرعيني، الضرير، وليّ الله الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار المشتهرين في الأقطار وهو من علماء المسلمين أهل السنة والجماعة وأبرز علماء علم القراءات.

نشأته وتربيته: هو أبو محمد القاسم بن فيرة بن أحمد الشاطبي الرعيني (نسبة إلى ذي رعين أحد أقيال اليمن) والشاطبي: بفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مكسورة مهملة وبعدها باء موحدة، هذه النسبة إلى شاطبة، وهي مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرق الأندلس، خرج منها جماعة من العلماء، استولى عليها الفرنج في العشر الأخير من شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وستمائة.

ولد عام ٥٣٨ هـ في مدينة شاطبة بالأندلس، كف بصره صغيراً، وعنيت به أسرته، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم طرقاً من الحديث والفقه، واتجه إلى حلقات العلم التي كانت تعقد في مساجد شاطبة، ومالت نفسه إلى علم القراءات، فتلقاها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري، ثم شد رحاله إلى بلنسية وكانت من حواضر العلم في الأندلس وممن كناه أبا القاسم كالسخاوي وغيره، لم يجعل له اسماً سواها والأكثرون على أنه أبو محمد القاسم.

رحل إلى بلنسية بالقرب من بلده، فعرض بها التيسير من حفظه والقراءات على الإمام ابن هذيل وسمع منه الحديث وروى عنه وعن أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف بن سعادة، صاحب أبي علي الحسين بن سكرة الصدفي ؛ وعن الشيخ أبي محمد عاشر بن محمد بن عاشر، صاحب أبي محمد البطلوسي ؛ وعن أبي محمد عبد الله بن أبي جعفر المرسى ؛ وعن أبي العباس بن طراز ميل ؛ وعن أبي الحسن عليم بن هاني العمري، وأبي عبد الله محمد بن حميد، أخذ عنه كتاب سيبويه والكامل لابن المبرد و أدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها ؛ وعن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم، وأبي الحسن ابن النعمة صاحب كتاب ريّ الظمان في تفسير القرآن ، وعن أبي القاسم

حبيش صاحب عبد الحق بن عطية، صاحب التفسير المشهور، ورواه عنه.

ثم رحل للحج ؛ فسمع من أبي طاهر السلفي بالإسكندرية وغيره.

ولما دخل مصر، أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره، وأنزله بمدرسته التي بناها بدرب الملوخيا داخل القاهرة، وجعله شيخها، وعظمه تعظيماً كثيراً، فجلس بها للإقراء، وقصده الخلق من الأقطار، وبها أتم نظم هذا المتن المبارك ونظم أيضاً قصيدته الرائية المسماة عقيلة أتراب القصائد، في أسنى المقاصد في علم الرسم، وقصيدة أخرى تسمى ناظمة الزهر في علم عدد الآي وقصيدة دالية خمسمائة بيت لخصّ فيها التمهيد لابن عبد البر ثم إنه لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس، توجه فزاره سنة ٥٨٩ هـ، ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يُقرئ حتى تُوفي.

وكان إماماً كبيراً، أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، مع الزهد والولاية، والعبادة، والانقطاع والكشف، شافعي المذهب، مواظباً على السُنّة ؛ قال ابن خلكان

تعالى كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تُصحح النسخ من حفظه وُلد أعمى ولقد حكى عنه أصحابه ومن كان يجتمع به عجائباً ! وعظموه تعظيماً بالغاً، حتى أنشده الإمام الحافظ أبو شامة الدمشقي – من نظمه في ذلك :

رَأَيْتُ جَمَاعَةً فَضْلَاءَ فَازُوا بِرُؤْيَا شَيْخِ مِصْرَ الشَّاطِئِي وَكُلُّهُمْ
يُعْظَمُهُ وَيُتْنِي كَتَّعْظِيمِ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ : أَنَّ الشَّاطِئِي
كَانَ يُصَلِّي الصَّبْحَ بِالْفَاضِلِيَّةِ، ثُمَّ يَجْلِسُ لِلْإِقْرَاءِ، فَكَانَ النَّاسُ
يَتَسَابِقُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا قَعْدَ لَا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِهِ : مَنْ جَاءَ أَوَّلًا فَلْيَقْرَأْ
؛ ثُمَّ يَأْخُذُ عَلَى الْأَسْبِقِ فَالْأَسْبِقِ ؛ وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا تَدْعُو
الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ.

ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة، في هيئة حسنة وخضوع
واستكانة، ويمنع جلساءه من الخوض إلا في العلم والقرآن ؛ وكان
يعتل العلة الشديدة ولا يشتكي، ولا يتأوه ؛ وإذا سُئِلَ عَنْ حَالِهِ قَالَ :
العَافِيَةُ ؛ لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

طلابه وممن قرأ عليه هذا النظم المبارك، وعرض عليه ما تضمنه
من القراءات : الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد

السخاوي، وهو أجل أصحابه وكان أنبغ تلاميذه، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بعد شيخه ؛ والإمام أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، والسديد عيسى بن مكي، ومرتضى بن جماعة، والكمال علي بن شجاع الضرير، وهو صهره ؛ والزّين محمد بن عمر الكردي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد الشافعي، وعيسى بن يوسف بن إسماعيل المقدسي، وعلي بن محمد بن موسى النجيبى وعبد الرحمن بن إسماعيل التونسي. وممن سمع عليه، وقرأ عليه بعض القراءات : الإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب، والشيخ أبو الحسن علي بن هبة الله بن الجميزي، وأبو بكر محمد بن وضّاح اللخمي، وعبد الله بن عبد الوارث بن الأزرق، وهو آخر أصحابه موتاً.

هذا النظم المشهور بحرز الأمانى ووجه التهاني للإمام الورع القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي الرعيني جمع ناظمه ما تواتر عن القراء السبعة.

وهي من أوائل القصائد التي نظمت في علم القراءات إن لم تكن أولها على الإطلاق وفضلاً عن أنها حوت القراءات السبع المتواترة

فهي تعتبر من عيون الشعر بما اشتملت عليه من عذوبة الألفاظ ورصانة الأسلوب وجودة السبك وحسن الديباجة وجمال المطلع والمقطع وروعة المعنى وسمو التوجيه وبديع الحكم وحسن الارشاد فهي بحق كما قال العلامة ابن الجزري.

ومن وقف على قصيدته علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصاً اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن فإنني لا أحسب بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به.

ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح منها وبالغ الناس في التغالي فيها حتى خرج بعضهم بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم.

ويقول الإمام الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار: ولقد سارت الركبان بقصيدته حرز الأماني وعقيلة أتراب القوائد اللتين في

القراءات والرسم وحفظهما خلق لا يحصون وخضع لها فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء فلقد أبدع وأوجز وسهل الصعب.

لذا تلقاها العلماء في سائر الأعصار والأمصار بالقبول الحسن وعنوا بها أعظم عناية من مقدمة محمد تميم الزعبي.

تعود شهرة الشاطبي إلى منظومته حزر الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، وهي قراءات نافع إمام أهل المدينة، وابن كثير إمام أهل مكة، وأبي عمرو بن العلاء بن العلاء إمام أهل البصرة، وعاصم وحمزة والكسائي أئمة أهل الكوفة، وابن عامر إمام أهل الشام. وجاء عنه قال: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله، لأنني نظمتها لله.

ومتن الشاطبية، ذلك النظم المدهش، نجد الشاطبي لم يكتف بالقراءات فحسب، بل ضمن منظومته العديد من الفوائد النحوية، واللغوية، والإشارات الوعظية، والاقتباسات الحديثية.

والشاطبية قصيدة لامية اختصرت كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ = ١٠٥٢م)، وقد لقيت إقبالا منقطع النظير، ولا تزال حتى يومنا هذا العمدة لمن يريد إتقان القراءات السبع، وظلت موضع اهتمام العلماء منذ أن نظمها الشاطبي رواية وأداء، لإبداعها العجيب في استعمال الرمز ودمجه في الكلام، حيث استعمله عوضاً عن أسماء القراء أو الرواة، فقد يدل الحرف على قارئ واحد أو أكثر من واحد، وهناك رموز ومصطلحات في المنظومة البديعة، لا يعرفها إلا من أتقن منهج الشاطبي وعرف مصطلحه، وقد ضمّن في مقدمة المنظومة منهجه وطريقته، ومن أبياتها:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة --- لنا نقلوا القرآن عذباً وسلسلا

فمنهم بدور سبعة قد توسطت --- سماء العلا والعدل زهر وكُملا

لها شهب عنها استنارت فنورت --- سواد الدجى حتى تفرق وانجلا

ولم يحظ كتاب في القراءات بالعناية التي حظيت بها هذه المنظومة، حيث كثر شُراحها وتعددت مختصراتها، ومن أشهر شروح الشاطبية:

• فتح الوصيد في شرح القصيد لـ علم الدين السخاوي، المتوفى سنة ٦٤٣هـ ١٢٤٥م.

• وإبراز المعاني من حرز التهاني لـ أبي شامة، المتوفى (٦٦٥هـ = ١٢٦٦م).

• وكنز المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني للجعبري، المتوفى سنة ٧٣٢هـ ١٣٣١م.

• وسراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصح، المتوفى ٨٠١هـ ١٣٩٨م.

• وتقريب النفع في القراءات السبع للشيخ علي محمد الضياع، شيخ عموم المقارئ المصرية.

وقد بارك الله له في تصنيفه، لا سيما هذا النظم المبارك، فلقد رُزق من القبول والشهرة، ما لم ينله كتاب غيره في هذا الفن، حتى صارت جميع بلاد الإسلام لا تخلو منه، ولقد بالغ أكثر الناس فيه، وأخذ أقواله مسلمة، واعتبار ألفاظه منطوقاً ومفهوماً، وتجاوز بعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع، وأن ما عدا ذلك لا تجوز القراءة به.

وقد شرحه كثير من الأئمة المعتبرين، منهم : برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، وشمس الدين الكوراني، وشمس الدين الفناري، وعلم الدين علي بن محمد السخاوي المصري، وأبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل النحوي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد – المعروف بشعلة الموصلّي – وعلاء الدين بن عثمان المعروف بابن القاصح البغدادّي، وأبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي، وعماد الدين علي بن يعقوب الموصلّي، وجمال الدين بن علي الحصني، وأبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري، وأبو العباس أحمد بن علي الموصلّي، وتقي الدين عبد الرحمن بن أحمد الواسطي، وتقي الدين يعقوب بن بدران الجرايدي، وشهاب الدين أحمد بن يوسف السمين الحلبي، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن

جبارة المقدسي، وشمس الدين محمد بن أحمد الأندلسي، ومحب الدين محمد بن محمود بن النجار البغدادي، وأبو بكر بن ايدغدي الشهير بابن الجندي، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي، ويوسف بن أبي بكر المعروف بابن الخطيب، وعلم الدين قاسم بن أحمد اللورقي، وبدر الدين المعروف بابن أم قاسم المرادي، وأبو عبد الله المغربي النحوي، والسيد عبد الله بن محمد الحسيني، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ونور الدين علي بن سلطان القاري، ومنتجب الدين الهمداني، وشهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطي، وعلي بن محمد الضبّاع، له عليه شرحان إرشاد المريد إلى مقصود القصيد و إنشاد الشريد من معاني القصيد وقد حصر أحد الباحثين المغاربة أكثر من مائة عمل ما بين شرح للشاطبية وحاشية على الشرح وللشاطبي منظومتان معروفتان هما:

• عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي في بيان رسم المصحف.

• وناظمة الزهرة في أعداد آيات السور.

ونقل الإمام القرطبي : أن الإمام الشاطبي رحمة الله تعالى لما فرغ من تصنيفه طاف به حول الكعبة اثنا عشر ألف أسبوع، كلما جاء في أماكن الدعاء، قال : اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب هذا البيت العظيم، انفع بها كل من قرأها - يعني : هذا المتن، باعتبار أنه قصيدة - وروي عنه - أيضاً - أنه رأى النبي في المنام، فقام بين يديه وسلم عليه، وقدم القصيدة إليه وقال يا سيدي يا رسول الله! انظر هذه القصيدة! فتناولها النبي بيده المباركة .

كان الشاطبي إماماً ثبتاً حجة في علوم القرآن والحديث واللغة كما كان آية من آيات الله في حدة الذهن، وحصافة العقل، وقوى الإدراك، وكان مثلاً أعلى في الصبر والاستسلام لله تعالى والخضوع لحكمه، عالماً بكتاب الله تعالى وقراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله مبرزاً فيه، وكان أوحداً في علم النحو واللغة، عارفاً بعلم الرؤيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل.

كان الإمام الشاطبي كثير الفنون، واسع العلوم، متبحراً في علوم الشريعة واللسان العربي، فقد كان الشاطبي إماماً في القراءات

والتفسير وكذلك في النحو واللغة، والحديث، والتفسير، كما كان أديباً شاعراً... وعموماً فقد أخذ الشاطبي - من كل فن بطرف وشارك في أغلب علوم عصره، واجتمعت فيه مقومات الاجتهاد الفقهي الخاص، إذ كان حافظاً مقرئاً نحويّاً فقيهاً، ومع ذلك فقد انتسب إلى أحد المذاهب الفقهية السنية، وقد اختلف المؤرخون والعلماء في مذهب الشاطبي، فذكر ابن الصلاح، وتاج الدين الأسنوي أنه كان شافعيّاً، وقد وضعوه في طبقات الشافعية، لكننا وجدناه عند ابن فرحون يذكره في طبقات المالكية، وابن الملقن، ونحن أمام هذا التعارض لا يسعنا إلا التوفيق بين الرأيين، فنقول أنه كان في أول أمره مالكيّاً في فترة حياته بالأندلس، أما بعد قدومه مصر فقد سلك المذهب الشافعي.

وهذا على عكس مذهبه العقدي، إذ على الرغم من أن أحداً ممن ترجم له لم يفصل الأمر في عقيدته، إلا أن هناك إشارات في طبقات الشافعية تظهر أنه كان أشعريّاً، وانتساب الشاطبي إلى الأشاعرة ليس مستغرباً، فمذهب أبي الحسن الأشعري كان قد انتشر في المغرب على يد القلانسي في تلك الفترة، كما أنتشر بعد ذلك في مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي، بعد إسقاطه الحكم الشيعي فيه.

ظل الشاطبي في القاهرة يقيم حلقاته في مدرسته، ويلتف حوله تلاميذه النابهون من أمثال أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ولم تطل بالشاطبي الحياة، حيث تُوفي وعمره اثنان وخمسون عامًا، توفي الإمام الشاطبي يوم الأحد، بعد صلاة العصر، وهو اليوم الثامن والعشرون من جمادى الآخرة، سنة : ٥٩٠ هـ الموافق ٢٠ يونيو ١١٩٤م، ودفن يوم الاثنين بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، بالقرافة الصغرى، بالقرب من سفح الجبل المقطم بمصر، وقبره مشهور معروف .